khaldooni Educational curriculum

المنهاج التربوي الخلدوني

دايم سماحية
جامعة طاهري محمد بشار
d.Smahia@yahoo.Fr

أ. حجاج عبد الفتاح
جامعة طاهري محمد بشار
fathi_CUB@yahoo.fr

قدم للنشر في: 2018/07/04
قبل للنشر في: 2019/03/30

Abstract:

The curriculum is a necessary means to guide the educational process towards its intended destination, so we find educational researchers focus their efforts to build old and modern, and Ibn Khaldun one of those who set educational curriculum and evidence of this "his introduction", which was filled with ideas and educational perceptions reflected in the elements that It requires the building of an educational educational curriculum such as: determining the desired ends of education, teaching content, teaching methods, means, and proposing the best method of teaching.

Key words : platform ; curriculum of khaldooni ; components of the khaldoon curriculum ; objectives ; student's profile ; teaching methods ; teaching aids ;

الملخص :

يعد المنهاج وسيلة ضرورية لتوجيه العملية التعليمية التربوية نحو وجهتها المقصودة ، لهذا نجد الباحثين التربويين يركزون جهودهم لبنائه قديما وحديثا ، و ابن خلدون أحد أولئك الذين وضعوا منهاجا تعليميا تربويا و الدليل على ذلك "مقدمته" التي حفلت بالأفكار و التصورات التربوية المتجلية في العناصر التي يتطلبها بناء منهاج تعليمي تربوي مثل : تحديد الغايات المرجوة من التعليم ، المحتوى التعليمي ، طرق التدريس ، الوسائل ، اقتراحه لأفضل طريقة في التدريس .

كلمات مفتاحية : المنهاج ; المنهاج الخلدوني ; مكونات المنهاج الخلدوني ; الغايات ; ملمح التلميذ ; طرق التدريس ; الوسائل التعليمية ;

تمهيد :

التراث اللغوي العربي يزخر بأفكار و رؤى خلدت أسماء أصحابها في شتى المجالات ، و من بينها مجال التربية و التعليم الذي يتحدث عنه كثير من الناس فيربطون أسسه برجال الغرب غير آبهين أن تراثنا العربي يشكل أخصب ميدان يستفاد منه لإنتاج البحوث التربوية الحديثة ، و متناسين أن هناك علماء خلفوا رصيدا فكريا أحيا ذكرهم عبر الزمن و كان شاهدا على مكانتهم ، ولعل من بينهم ابن خلدون الذي اهتم بالتعليم والتعلم ذاكرا ذلك في عدة فصول من المقدمة حيث تكلم عن التعليم وتعليم الصنائع وتعليم العلوم وتعليم اللغة، وطريقة التعليم ، مقدرا قيمة الفكر في حياة البشر قائلا : "اعلم أن الله – سبحانه وتعالى– ميز البشر عن سائر الحيوانات بالفكر الذي جعله مبدأ كماله و نهاية فضله على الكائنات وشرفه." [1] فساهم بآرائه التربوية والتعليمية في التنظير لهذا المجال و مثال ذلك حديثه عن المنهاج التربوي .

فما هو المنهاج ؟ وما هي مكوناته انطلاقا من مقدمة ابن خلدون ؟

المنهاج : في القاموس المحيط[2] المنهاج هو المنهج والنهج أي الطريق الواضح ، أما في المجال التربوي فالمنهاج هو وسيلة أساسية تضع الخطة المناسبة للمعلم ، فهي توجهه و ترسم له الخطوط التي ينبغي اتباعها لتطبيق مقرر دراسي و تبليغ محتوى معرفي للمتعلم ، وهناك من اعتبره نوعا من التشريع يقصد به تنظيم العملية التعليمية و توجيهها نحو الأغراض القومية المنشودة و التي تكفل التقدم و الحياة الفضلى . [3] ومقدمة ابن خلدون غنية بالأفكار التي تساعد في بناء منهاج يكون قاعدة أساسية و مرتكزا للنظام التربوي التعليمي و لكن قبل أن نشير إلى المنهاج الذي وضعه ابن خلدون لابد أن نلقي نظرة إلى الوسط الذي كانت تجرى فيه العمليتان التعليمية و التعلمية في عهده ، فمن خلال مقدمته نتعرف على حالة التعليم في الوطن العربي من مشرقه إلى مغربه و المدة الزمنية المخصصة له، والأماكن التي كانت تؤدى فيها كما أشار إلى الطرق المعتمدة آنذاك ، و المحتوى المعرفي مسجلا بعض النقائص التي لم يقف عندها مكتوف اليدين بل قدم الإجراءات اللازمة لتحسين العملية التعليمية التربوية .

حالة التعليم في عصره : إن الحديث عن حالة التعليم في عهد ابن خلدون يجعلنا نقف عند ثلاث ميزات : التركيز على تحفيظ الأبناء القرآن الكريم ، ربط حسن التعليم بالحضارة و التطور ، تميز التعليم بالحرية . لقد ربط ابن خلدون العلم و التعليم بالمستوى الحضاري ، فرآه حسنا في المشرق العربي ورأى سوء التعليم بالأندلس وسبب ذلك هو عدم اهتمامهم بالتعليم و العلوم، وتناقص عمران المسلمين بها ،كما أشار ساطع الحصري في كتابه "دراسات عن مقدمة ابن خلدون" إلى أن التعليم كان حرا ، يمارسه من يجد في نفسه الكفاءة أن يزاول التعليم حيث يختار المحل الذي يدرس فيه تلامذته مراعيا الطريقة التي يرتئيها، من غير أن يتقيد بشرط حكومي وسلطاني غير قيود العرف والعادة ويتم ذلك في المساجد .[4]

ذكر ابن خلدون –في مقدمته– أن العرب المسلمين اهتموا في عهده بتعليم أبنائهم القرآن الكريم لكنهم اختلفوا في منهج التعليم ؛ ولهذا عند حديثه عن مسألة التعليم وطرقه أعطى نماذج عن البلدان العربية الإسلامية :

1–التعليم عند المغاربة : حرص أهل المغرب على تحفيظ أولادهم القرآن الكريم قبل أي علم آخر، كما علموهم ما تعلق بالرسم ومسائله. ويستدل ابن خلدون بقوله: " فأما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط... [5] " وذكر أيضا أن الأمصار المتاخمة للمغاربة من قرى البربر وغيرها قد حدت حذوهم في تعليم أبنائهم على نفس الطريقة .

2–التعليم في الأندلس : علم أهل الأندلس أبناءهم القرآن الكريم وما رأوه ضروريا مثل: الشعر و قوانين العربية و الخط حيث جاء في قول ابن خلدون : "وأما أهل الأندلس فمذهبهم تعليم القرآن و الكتاب من حيث هو جعلوه أصلا في التعليم... فلا يقتصرون على القرآن، بل يخلطون في تعليمهم للولدان ، رواية الشعر و الترسل ، وأخذهم بقوانين العربية ، وتجويد الخط ..."

3–**التعليم في إفريقية** : لم يقتصر أهل إفريقية على تحفيظ أبنائهم القرآن الكريم بل درسوهم مختلف العلوم، و الدليل قول ابن خلدون :" أما أهل إفريقية فيخلطون في تعليمهم للولدان القرآن بالحديث في الغالب ، و مدارسة قوانين العلوم ، و تلقين بعض مسائلها...ووقوفهم على اختلاف رواياته..." [6]

4–التعليم عند أهل المشرق : يرى ابن خلدون أن التعليم في المشرق يتم بأحسن الطرق حيث قال : "... فأهل المشرق على الجملة أرسخ في صناعة تعليم العلم " كما أشار إلى أنهم أعطوا التعليم اهتماما كبيرا فحفظوا أبناءهم القرآن الكريم و لقنوهم العلوم الآلية الأخرى قائلا:"أما أهل المشرق عنايتهم بدراسة القرآن و صحف العلم و قوانينه في زمن الشبيبة ، ولا يخلطونه بتعليم الخط " أما طرق تبليغ هذه العلوم فهي كثيرة و مختلفة وسيتم الحديث عنها ضمن مكونات المنهاج الخلدوني .[7]

المنهاج التربوي الخلدوني : هو منهاج تربوي تعليمي رسم خطوطه ابن خلدون و يتجلى ذلك في "المقدمة" التي اشتملت على أفكار و تصورات تربوية محاورها في النقاط الآتية : الغايات من التعليم ، ملمح المتعلم ، طرق التدريس ، وسائل التعليم ، صفات المعلم ومهامه ...إلخ . إذن ، هذه المحاور تعد عناصر أساسية لبناء منهاج تربوي .

مكونات المنهاج التربوي الخلدوني : المنهاج ضروري في العملية التعليمية التعلمية وبناؤه لا يستقيم إلا بوجود مكونات ، وهذا ما ذكره ابن خلدون حين حديثه عن التربية و التعليم ، وهي :

1–الغايات من التعليم : قسم ابن خلدون الغايات إلى صنفين :الغاية الأولى و هي التي ترتجى من كل فن ، و تتمثل في حصول الملكة للمتعلم ، "فالملكة صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل وتكراره مرة بعد أخرى حتى ترسخ صورته "[1]، "فالملكة تمكن صاحبها من التصرف و تمنحه إطارا للتفكير وتفتح له آفاق من سعة الرؤية و الإدراك و العكس يحدث لفاقدها"[2] و هذا ما يجعلها ضرورية لطالب العلم حيث نجد تأكيد هذه الفكرة في قول ابن خلدون : " ...أن الحذق في العلم و التفنن فيه و الاستيلاء عليه إنما هو بحصول ملكة من الإحاطة بمبادئه...و ما لم تحصل هذه الملكة لم يكن الحذق في ذلك الفن المتناول حاصلا "[3] . وأما الغاية الثانية التي يسعى إليها المتعلم بصفة عامة فهي حصول الفضيلة ، وتتجلى في سلوكات المتعلم الناتجة عن التعامل الإيجابي معه في مختلف المواقف ، وقد يخفق المتعلم في اكتساب الفضيلة فيقول ابن خلدون في ذلك مبينا نتائج الشدة :" وكسلت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل فانقبضت عن غايتها ومدى إنسانيتها فيما يكتسب وعاد في أسفل السافلين[4] .

2–ملمح التلميذ : تهدف العملية التربوية التعليمية إلى بناء شخصية المتعلم بناء متكاملا حيث يصبح قادرا على الآداء و التفاعل في مجتمعه ، ساعيا إلى المحافظة على عقيدته ومحبا لوطنه. و لهذا نجد ابن خلدون قبل أن يحدثنا عن الملمح المتوقع للمتعلم في مقدمته ،يقف عند الصفات التي ميزت طالب العلم[5] في عهده ، الذي ينتمي إلى احدى الفئتين :

[1] – ابن خلدون ، المقدمة ، نقلا عن فتيحة حداد ، ابن خلدون و آراؤه اللغوية و التعليمية ص133

[2] – ينظر فاروق النبهان ، الفكر الخلدوني من خلال المقدمة ، ص 146

[3] – عبد الرحمن ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ص 365

[4] – نفس المصدر ص 492

[5] – نفس المصدر ص366

ا– فئة طلاب المغرب : تميزوا بملازمتهم مجالس العلم لكنهم لا يفاوضون ، ولا ينطقون بل يحفظون القرآن الكريم ، و لا يحسنون التصرف في العلم والتعليم لأن ملكتهم قاصرة عن المفاوضة والمناظرة ، بل يرددون ما يحفظون ، وهذا يجعلنا نشاطره الرأي إذا نظرنا إلى أولئك المتعلمين ذوي الذاكرة القوية ، الذين يركزون في عملية التعلم على الاسترجاع و الاستظهار ، لكن نختلف معه لكونه عمم الحكم برأيه هذا لأن قدرات المتعلمين ودرجة الاستيعاب لديهم متباينة ، و بالتالي يمكن أن تبرز فئة مفكرة تحسن التصرف وتناقش وتبدع.

ب– فئة طلاب المشرق : يبدون أحسن حالا لأنهم أشد نباهة وأعظم ذكاء بفطرتهم ، فتعابيرهم أكمل بفطرتها من تعابير أهل المغرب لأنهم كانوا متأثرين بالحضارة ، كما تميز بعض الطلبة بصفات أخرى منها [6]: العجز عن الفهم إلا إذا استعملت معهم الأمثلة الحسية ، خاصة عند غموض الغايات أو عدم توفر الاستعداد لطلب العلم أو صعوبة المعلومات، كما أشار ابن خلدون إلى سوء أخلاق المتعلمين الذين يعاقبون ، وتأثير ذلك على علاقتهم بأفراد المجتمع .

3–مراحل التعليم : عرض ابن خلدون مرحلتين من التعليم كنموذجين سائدين في عصره :

ا– المرحلة الأولى :قبل سن الرشد : يركز فيها على تعليم القرآن الكريم باعتباره مصدر التشريع الإسلامي ومحور العلوم، وأساس تنشئة الأولاد ، والهدف من ذلك ترسيخ الإيمان والعقائد في فكر الأطفال ونفوسهم حماية لهم مما قد يشوشهم . **النموذج الأول** : الذي يمثله أهل المغرب و **النموذج الثاني** : الذي يمثله أهل الأندلس وإفريقية

ب– المرحلة الثانية : بعد سن الرشد : في هذه المرحلة يهتم المربون بتعليم العلوم الفقهية والحديث وما إلى ذلك من العلوم الشرعية ، لكن ابن خلدون تجاوز التربية بالمفهوم الفقهي، بحث في التربية المتعلقة بالأمور المعاشية المرتبطة بالعمران وبالواقع التاريخي والحضاري للمجتمعات.[7]

4–مدة التعلم : اختلفت المدة الزمنية التي يستغرقها المتعلم لاكتساب العلم، ولم تحدد بل ارتبطت بالمدة المعينة لسكني طلبة العلم بالمدارس وهي في المغرب ست عشرة سنة ، وفي تونس خمس سنين ، و تقل هذه المدة بالمدارس إذا تحصل طالب العلم على مبتغاه من الملكة العلمية أو قد تطول إذا عجز عن تحصيل الملكة،أو وجد عسرا في ذلك ، ويرجع ابن خلدون طول مدة اكتساب الملكة لقلة جودة التعليم.[8]

5–المحتوى المعرفي: في المقدمة ذكرت المواد المعرفية التي كانت تدرس للمتعلم منها: القرآن الكريم ، و هو المقصود في التدريس حيث قال: "اعلم أن تعليم الولدان للقرآن شعار من شعائر الدين ." [9] فهو أساس العملية التعليمية ، أما المواد المساعدة فتنقسم إلى قسمين: الأول علوم مقصودة بالذات مثل التفسير و الحديث و الفقه وعلم الكلام ... فابن خلدون لا

[6] – عبد الرحمن بن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، دار ابن الجوزي ، ص487

[7] – عبد الأمير شمس الدين ، الفكر التربوي عند ابن خلدون و ابن الأزرق ، ص88

[8] – ينظر حسين عبد الله بانبيله ، ابن خلدون وتراثه التربوي ، دار الكتاب العربي ، لبنان ، ط1 ، 1984 ص78

[9] – عبد الرحمن ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ص390

يجد حرجا في توسعة الكلام فيها وتفريع المسائل...لأن ذلك يزيد المتعلم تمكنا في ملكته و إيضاحا لمعانيها المقصودة ، أما الثاني فعلوم آلة للعلوم المقصودة أي هي أداة ووسيلة لهذه العلوم كالعربية و الحساب و غيرهما... فلا ينبغي أن ينظر فيها إلا من حيث هي آلة للفهم أو الإفهام لا يوسع فيها الكلام و لا تشعب المسائل لأن ذلك يخرج بها عن المقصود.[10] وابن خلدون يؤكد على ذلك بقوله:"يجب على المعلمين لهذه العلوم الآلية ألا يستبحروا في شأنها ولا يستكثروا من مسائلها و ينبهوا المتعلم على الغرض منها.[11]

6–طرق التدريس : طريقة التدريس مهمة في المجال التربوي التعليمي و نجاح [12] التعليم يرتبط – إلى حد كبير – بنجاح الطريقة ، فالطريقة السديدة تعالج كثيرا من فساد المنهج وضعف التلميذ وصعوبة الكتاب المدرسي ، وغير ذلك من مشكلات التعليم ، كما تعد الطريقة عملية فنية تحتمل اختلاف الآراء ووجهات النظر، وهذا ما ذكره ابن خلدون في قوله :"و يدل أيضا على أن تعليم العلم صناعة اختلاف الاصطلاحات فيه ، فلكل إمام من الأئمة المشاهير اصطلاح في التعليم يختص به ،شأن الصنائع كلها "[13]. ولذا نجد أن الطرق عديدة ومنها :

–الطريقة الإلقائية (التلقينية): هي الطريقة [14] التي يعتمد فيها كليا على المعلم لتلقين المعارف ،كانت مستعملة قديما ولا يزال بعض المدرسين يعتمدون عليها في التواصل مع المتعلمين ، وترتكز على الحفظ و الاستظهار فيصبح الطالب سلبيا . لقد اعتمدها المربون المسلمون خاصة في تعليم القرآن الكريم ، فعدوا الحفظ شرط العلم ، وافتخروا بما تحوي الصدور[15] لكن ابن خلدون انتقدها لكونها تركز على الحفظ ، و تعتمد على تعليم طالب العلم المسائل الغامضة الصعبة ثم مطالبته بحلها ، وتكليفه باستيعابها .

–الطريقة الاستقرائية : تقوم هذه الطريقة[16] على الأمثلة التي يشرحها المعلم ويناقشها ثم يستنبط منها القاعدة ، مبتدئا من الجزء إلى الكل ، و هناك من يرى أن الاستقراء أسلوب يشجع التفكير حيث يبدأ المتعلم بفحص الأمثلة ثم يخرج من دراستها بقاعدة عامة،يتم استنباطها بعد المناقشة والفهم ، وهذا ما أشار إليه ابن خلدون في مقدمته ، وورد ذلك في كتاب التربية عبر التاريخ[17] ضمن تحليل صاحبه لمبدأ ألا يؤتى بالغايات في البدايات بقوله :" أي ألا يأتي المعلم بالتعاريف والقوانين الكلية أول الأمر، بل يبدأ بالجزئيات ، وينتقل منها إلى الكليات، ويسلك في ذلك الطريقة الاستقرائية ، فيلقي بالأمثلة الكافية ثم ينتقل منها إلى التعاريف والقواعد ، ذلك أن المتعلم كما يقول ابن خلدون :" يكون أول الأمر عاجزا عن الفهم بالجملة إلا في الأقل

[10] – ينظر نفس المصدر ص 489

[11] – نفس المصدر ص490

[12] – عبد العليم إبراهيم ، الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية ، دار المعارف ، القاهرة ط14 ص35

[13] – عبد الرحمن بن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ص 365

[14] – صالح بلعيد ، الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية ط14 دار المعارف ، القاهرة ص61

[15] – عبد الله عبد الدائم ، التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى القرن العشرين،ص185

[16] – فؤاد حسن أبو الهيجاء، أساليب و طرق تدريس اللغة العربية و إعداد دروسها اليومية ، ط3 ، 2007 ، دار المناهج ، عمان ، ص 128

[17] – عبد الله عبد الدائم ، التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى القرن العشرين ص248

على سبيل التقريب والإجمال ..." [18] من ايجابيات هذه الطريقة أنها تجعل الطالب يبحث و يستقريء الحقيقة ، ويبذل جهدا لاكتساب المعلومات، و بواسطتها أيضا يتعود التلميذ على التفكير السليم المنطقي والاعتماد على النفس في الكشف عن الحلول ، وتغرس فيه حب البحث.

–الطريقة الحوارية: الحوار أسلوب راق في التعامل إذا أتقنه كل من المرسل و المتلقي ، ولهذا نجد الباحثين التربويين يفضلون التعليم الذي يعتمد على الطريقة الحوارية ،لأن أساسها التفاعل المتبادل بين المعلم والمتعلم عن طريق المناقشة وتبادل الرأي ،حيث يسأل المعلم الطلاب ويسمع منهم الأجوبة المختلفة [19] ، فهي تنمي الجوانب العقلية للمتعلمين ، و تشيع جوا من الحيوية في القسم ، فتكسر الجمود ، وتدفع الملل وتثير الدافعية للتعلم ، وتفسح المجال أمام المدرس لتنمية انتباه الطالب وتفكيره المستقل . وهذا نجده في قول ابن خلدون " أيسر طرق هذه الملكة فتق اللسان بالمحاورة والمناظرة في المسائل" [20] . فمنه ندرك أهمية الحوار والمناظرة بين المعلم والمتعلم لكونهما وسيلتين تفكان عقال اللسان الذي يتم بواسطته نقل العلم .

–طريقة التعليم بالممارسة : هذه الطريقة ذكرها ابن خلدون حين حديثه عن لغة "مضر"التي تعددت أسماؤها في المقدمة و منها: لسان العرب ، اللسان العربي ، اللسان المدون و تمثل اللغة الفصحى. لقد أولاها ابن خلدون عناية لأن معرفتها ضرورية لفهم كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيث قال :" وجه التعليم لمن يبتغي هذه الملكة (اللسان المضري)، ويروم تحصيلها أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجاري على أساليبهم من القرآن والحديث ، وكلام السلف ، ومخاطبات فحول العرب في أسجاعهم وأشعارهم " [21] ، وتعلم هذه اللغة يساعد المتعلم على التعبير، حيث ينسج على منوال ما حفظ عبارات مناسبة للمواقف ، فيعبر بطلاقة منتقيا العبارات و الألفاظ الملائمة ، وهنا تبرز مقدرته اللغوية " أي :ملكته اللغوية " ، ويتجلى ذلك في قول ابن خلدون:" ثم ينصرف بعد ذلك في التعبير عما في ضميره على حسب عباراتهم وتأليف كلماتهم ، وما وعاه وحفظه من أساليبهم وترتيب ألفاظهم فتحل له هذه الملكة بهذا الحفظ والاستعمال، ويزداد بكثرتها رسوخا وقوة ".

من هنا نستنتج أن طريقة تعلم اللسان المضري تعتمد على الممارسة و المباشرة في التعلم ، ويتحقق ذلك عند الرحلة لطلب العلم وملاقاة الشيوخ . وتبقى الطرق التي تحدث عنها ابن خلدون كثيرة في المقدمة منها: طريقة المناظرة ، طريقة المحاكاة والتقليد ..

فما هي طريقة التدريس المفضلة عند ابن خلدون ؟

فضل ابن خلدون طريقة تلقين العلوم [22] التي تعتمد على التدريج من الأسهل إلى الأصعب ، فلا يقدم المعلم التعاريف والقوانين الكلية أول الأمر بل يبدأ بالجزئيات ، ومنها إلى الكليات دون إطالة على المتعلم في العلم الواحد بتفريق المجالس ،و ينبغي للمعلم أن يراعى في ذلك قوة عقل المتعلم واستعداده للتعلم ،كما يشير ابن خلدون إلى أهمية التكرار في ترسيخ المفاهيم شرط أن يكون التكرار بصورة مغايرة مشوقة . ويعتمد أيضا في الشرح على تقريب المفاهيم وتقديمها مجملة مستعينا في ذلك بالأمثلة

[18] – عبد الرحمن ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ص487

[19] – صالح بلعيد ، دروس في اللسانيات التطبيقية ، دار هومة ، الجزائر ، ط4 ،2009 ، ص62

[20] – عبد الرحمن ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ،ص366

[21] – نفس المصدر ، ص 510

[22] – ينظر نفس المصدر ص487/486

الحسية لأن المتعلم المبتدىء لا يستطيع الفهم و إ دراك ما يتعلمه إلا بواسطتها ،حتى يصل المتعلم إلى درجة استيعاب المعلومات فينتقل معه إلى التجريد ؛ وما أشار إليه ابن خلدون يشبه الفكرة [23] الأساسية التي سيطرت على تنظيم الدراسة الابتدائية في فرنسا ، وفي كثير من البلدان الأوربية منذ أوائل القرن التاسع عشر حيث رتبت الدروس على نمطين : دروس متسلسلة ودروس متوسعة متمركزة ، أي أن المباحث إما أن تكون متصلة ببعضها (سابقها أو لاحقها) أو تكون متحددة المركز على شكل حلقات متدرجة ، ففي فرنسا مثلا لا تزال مقسمة إلى ثلاث دورات : أولى ، متوسطة و عليا ، يدرس العلم في الأولى بشكل مختصر من أوله إلى آخره والاقتصار في ذلك على ما هو أساس وبسيط ، وفي الدورة الثانية يتم إعادة الأبحاث نفسها لكن بطريقة مفصلة وموسعة ، أما في الدورة الثالثة فيزيد الدراسة توسيعا وإكمالا ، وبهذا ينطبق عليها قول ابن خلدون "هذا وجه التعليم المفيد و هو كما رأيت إنما يحصل بثلاث".

7–الوسائل: للوسائل التعليمية والتربوية دور في إيضاح المعلومات و تيسير استيعابها كما تساهم في نجاح العملية التعليمية أو فشلها لذا نجد ابن خلدون حين عرضها في مقدمته إما انتقد طريقة استخدامها أو رغب فيها ، ومنها : الكتاب ، الرحلات ، العقاب و التأديب .

الكتاب : من المعروف أن الكتاب وسيلة تعليمية تشكل مصدرا أساسيا للمعرفة حيث تقدم للمتعلمين المواد الدراسية بشكل مبسط ومعد، لتحقيق أهداف المنهاج، ومن هنا وجب الاهتمام بالكتاب لأداء وظيفته المتمثلة في تبليغ المعرفة ، ودعم مكتسبات المتعلم وتقويمها ، و لهذا يعتبر أداة للتثقيف وحصول الملكة اللغوية [24]. لكن ابن خلدون ينتقد هذه الوسيلة المعتمدة في عصره في فصلين من مقدمته : **أولا** : حين حذر من كثرة المؤلفات في الفصل الرابع والثلاثين من المقدمة حيث ذكر أن كثرة التآليف واختلاف المصطلحات التي تقدم إلى المتعلم خاصة في سنواته الأولى ، في التعليم تؤدي إلى عرقلة عملية الاستيعاب لديه ، لأن مقدرته على الحفظ واكتساب المعلومة ليست بتلك القوة التي يرسمها المعلم فيه فينتج عنه قصورا في التحصيل العلمي، فكثرة الكتب وتنوعها في المستوى الواحد تزيد المتعلم إرهاقا و أثبت ذلك قائلا :" اعلم أنه مما أضر بالناس في تحصيل العلم والوقوف على غاياته كثرة التآليف واختلاف الاصطلاحات في التعليم، و تعدد طرقها..." [25] وما يستنتج أن ذلك الكم الهائل من المعارف التي كان التلميذ رغم صغر سنه مجبرا على تحصيلها واستحضارها والتمييز فيما بينهما لم يؤت ثماره. و ابن خلدون لم يكتف بعرض الفكرة بل استدل بأمثلة لكتب كثرت حولها تآليف تحاول شرحها ، ومنها كتاب المدونة في الفقه و كتاب سيبويه في علم العربية...إلخ . **وثانيا** : أثناء حديثه عن المختصرات ، وتأثيرها السلبي على المتعلمين ، فهذه الكتب هي اختصارات لمعلومات و مفاهيم تخل بعملية التحصيل، وتخلط المعاني على المتعلم فيصعب عليه استخراج المسائل منها وفهمها ، أو تتكرر فيها الحقائق العلمية نفسها بعبارات وأساليب مختلفة. [26] و ابن خلدون يتحدث عن اهتمام بعض المؤلفين بالمختصرات ، وما يميزها ، وتأثيرها السلبي على المتعلم فيقول في ذلك:" ذهب كثير من المتأخرين إلى اختصار الطرق في الأنحاء

[23] – ينظر ساطع الحصري ، دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، ص452

[24] – ينظر صالح بلعيد ، دروس في اللسانيات التطبيقية ، دار هومة ، الجزائر ، ط4 ، 2009، ص85

[25] – عبد الرحمن ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ص 485

[26] – ينظر علي عبد الواحد وافي ، عبد الرحمن ابن خلدون حياته و آثاره و مظاهر عبقريته ، دار مر للطباعة ، 1975 ، ص256

في العلوم ، يولعون بها ويدونون منها برنامجا مختصرا في كل علم يشتمل على حصر مسائله ، وأدلتها باختصار في الألفاظ ، وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن، فصار ذلك مخلا بالبلاغة وعسيرا على الفهم ..." [27] و في هذا المقام يعيب ابن خلدون طريقة تربية الأجيال على حفظ أمهات الكتب بعد اختصارها و تدبيجها بمصطلحات مستعصية يمكن أن تذهب بالمعنى فيعجز المتعلم عن الفهم بل نجد المتعلم يركز جهده على التكرار الذي يجعل ملكته قاصرة والدليل قوله : "إذا اقتصر على التكرار قصرت الملكة لقلته كشأن هذه الموضوعات المختصرة فقصدوا إلى تسهيل الحفظ على المتعلمين فأركبوها صعبا يقطعهم عن تحصيل الملكات النافعة وتمكنها..." [28]

مقترحات ابن خلدون التعليمية التربوية : يرى ابن خلدون أن هناك مسائل ينبغي التركيز عليها لإصلاح العملية التعليمية التربوية ومنها :

-الاقتصار على كتاب واحد في التعليم : يرى ابن خلدون أنه من الضروري التركيز على كتاب واحد تيسر مسائله للمتعلم مراعيا في ذلك طاقته و استعداده لعملية التعلم ، ولا تخلط تلك المسائل الواردة في الكتاب المخصص للتعليم بمسائل أخرى ، و الهدف من ذلك حصول الفهم ثم تجلي الملكة لدى المتعلم ، فالأساس عند ابن خلدون هو الاقتصار على كتاب واحد من حيث الطريقة و المضمون ، وفي ذلك يقول[29] : " ولا ينبغي للمعلم أن يزيد متعلمه على فهم كتابه الذي أكب على التعليم منه بحسب طاقته، وعلى نسبة قبوله للتعليم مبتدئا كان أو منتهيا، ولا يخلط مسائل الكتاب بغيرها حتى يعيه من أوله إلى آخره ، ويحصل أغراضه ويستولى منه على ملكة بها ينفذ في غيره."

-عدم إشغال المتعلم بعلمين في وقت واحد : رفض ابن خلدون تلقين المتعلم علمين معا وذلك لأسباب منها : أن المتعلم لا يستطيع التركيز بل يقسم باله محاولا فهم العلمين معا ، فيعجز عن الظفر بواحد منهما، وفي محاولة الفهم قد يستغلقان و يستصعبان فيجد صعوبة في استيعابهما .كما أكد على ضرورة عدم خلط مباحث الكتاب الواحد بكتاب آخر ، وهذا ما خاض فيه المغاربة في تعليم القرآن للأولاد دون سواه [30]. فيقول " .. فأما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط ، وأخذهم أثناء المدارسة بالرسم ومسائله ، واختلاف حملة القرآن فيه ، ولا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم .." [31]

-ضرورة اجتناب البدء في التعليم بالمسائل المقفلة :ومن المسائل التي يحذر منها ابن خلدون الانطلاق في العملية التعليمية بالمسائل المغلقة المستعصية لأن المتعلم في بداية تعلمه لا يستطيع فهم الأشياء العامة، ولا يدرك الأمور الغامضة الصعبة ، الأمر الذي جعله ينتقد معلمي زمانه بقوله:" وقد شاهدنا كثيرا من المعلمين لهذا العهد الذي أدركناه يجهلون طرق التعليم وإفادته ،

---

[27] – عبد الرحمن ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ص486

[28] – نفس المصدر ، نفس الصفحة

[29] – نفس المصدر ص 487

[30] – ديب صفية ، التربية و التعليم في المغرب و الأندلس في عصر الموحدين ، مؤسسة كنوز الحكمة ، 2011 ، ص 62

[31] – عبد الرحمن ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ص490

ويحضرون للمتعلم في أول تعليمه المسائل المقفلة من العلم ويطالبونه بإحضار ذهنه في حلها، ويحسبون ذلك مرانا على التعليم وصوابا فيه، ويكلفونه وعي ذلك وتحصيله ، ويخلطون عليه بما يلقون له من غايات الفنون ومبادئها وقبل أن يستعد لفهمها".[32]

8-**الرحلات و فوائدها** :الرحلة وسيلة لاكتساب العلم بواسطتها يستمتع الإنسان بمناظر الطبيعة و يواجه الصعاب و يكتشف حقائق ويتعرف على ما جهله من قبل ويصحح مفاهيم ، لهذا يراها ابن خلدون ضرورية و الدليل قوله:" فالرحلة لابد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ و مباشرة الرجال ." و يمكن تسجيل فوائد الرحلة في النقاط التالية :

1 – حصول الملكة وترسيخها بتلقي العلم من أفواه العلماء ، والاستفادة منهم مباشرة .

2- يستطيع المتعلم فهم المصطلحات وتمييزها .

3- يصحح معارفه ويميزها عن سواها .

العقاب وأثره على شخصية المتعلم : استعمل ابن خلدون لفظتي (العقاب و التأديب)لإبراز كيفية تعديل سلوك المتعلم في " فصل الشدة على المتعلمين مضرة بهم "حيث يرى أن العقاب يؤثر سلبا على شخصية المتعلم فينعكس ذلك على تعامله مع غيره من أفراد مجتمعه، فكل جملة استعملها تحمل دلالة الانعكاس السلبي للعقاب على نفسية وسلوك المتعلم منها: التضييق على النفس انبساطها ، إزالة نشاطها ودفع الإنسان إلى الكذب و كسل النفس عن اكتساب المعاني .[33] وهذا دليل رفضه للتعامل بقسوة و عنف مع المتعلم .

التأديب و طريقته عند ابن خلدون : التأديب وسيلة تؤثر إيجابيا في سلوك المتعلم إذا أحسن المعلم و الأب استخدامها ، والطريقة المثلى للتأديب في نظر ابن خلدون تتجلى في" فصل الشدة على المتعلمين مضر بهم" ، فهي تجمع بين اللين و الشدة في التعامل مع المتعلم ، ولا يلجأ المربي إلى استخدام العقاب البدني إلا عند الضرورة ، و فكرته تتضح من خلال النقاط الآتية :

1-لا ينبغي لمؤدب الصبيان أن يزيد في ضربهم إذا احتاجوا إليه على ثلاثة أسواط .

2-تبصير المتعلم بمواقع الكلام وبدئه .

3-تعليمه احترام وتعظيم شيوخ العلم عند الدخول عليهم .

4-عدم التجاوز في مسامحة المتعلم حتى لا يستحلي الفراغ ويتعود عليه .

5-استعمال الشدة في التعامل مع المتعلم عندما يستنفد المعلم كل الطرق السالفة الذكر.[34]

[32] – ينظر عبد الرحمن ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ص493/492

[33] – ينظر عبد الرحمن ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ص493/492

[34] – نفس المصدر ، 487

وبما أننا في مجال الحديث عن المنهاج فإن تطبيقه يتطلب وجود معلم ذي كفاءة .

إذن فما هي **صفات المعلم ومهامه ؟**

استطاع ابن خلدون بفطنته وملاحظاته تحديد مواطن الضعف عند المعلمين في عصره ومنها: جهلهم طرق التعليم وإفادته ، وتعليم التلميذ المسائل المستعصية في بدء تعلمه ثم مطالبته بالفهم معتقدين أن ذلك تدريب على التعليم و صواب فيه ، مكلفين المتعلم تحصيل ما لا يستطيع ، وهذا ما سبق الإشارة إليه (أثناء الحديث عن ضرورة اجتناب البدء في التعليم بالمسائل المقفلة) .

إن الحديث عن صفات المعلم يدفع إلى طرح السؤال الآتي:ما هي الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها المعلم في نظر ابن خلدون ؟ يرى ابن خلدون أن المعلم ينبغي أن يتصف بمجموعة من الصفات ، وأن تكون له مهارات تمكنه من إتقان عملية التعليم باعتبارها من الصنائع المتميزة في المجتمع وفي حياة الإنسان ، ومن أبرز هذه الصفات والمهام : [35]

1-الإلمام بفن التدريس من حيث الجمع بين الطريقة والمادة حيث قال :" وذلك أن الحذق في العلم والتفنن فيه والاستيلاء عليه إنما هو بحصول ملكة في الإحاطة بمبادئه وقواعده والوقوف على مسائله ، واستنباط فروعه من أصوله... " [36]

2-أن تكون له طريقة مميزة على أساس " أن تعليم العلم صناعة اختلاف الاصطلاحات فيه ، فلكل إمام من الأئمة المشاهير اصطلاح في التعليم يختص به، شأن الصنائع كلها". [37]

3 -اجتناب طريقة حشو الأذهان ، وهذا ما أكد عليه ابن خلدون حين حديثه عن كثرة التآليف.

4-أن يكون قادرا على النقاش والحوار وإدارتهما حيث أن "أيسر طرق هذه الملكة فتق اللسان بالمحاورة والمناظرة في المسائل العلمية فهو الذي يقرب شأنها ويحصل مرامها" [38] وهذا لا يمكن حدوثه إلا إذا كان المعلم متمكنا من اللغة يحسن توظيفها مع استعمال وسائل الإيضاح المناسبة .

5-أن يكون مرنا في تعامله مع المتعلمين، قادرا على تهذيبهم ومدركا للمواقع التي يعاقبهم فيها .

6-أن يكون قدوة للمتعلم :من المعروف أن شخصية المدرس[39] لها أثر كبير ومباشر في سلوكات الناشيء وعلمه ، فالمتعلم يحاكي معلمه المفضل،حيث يعتبر القدوة والمثل الأعلى فيقلده في كثير من تصرفاته ويستفيد من أقواله، وهذا المعنى نستنتجه مما أورده ابن خلدون في " فصل أن المغلوب مولع أبدا بالاقتداء بالغالب " أن الناس يقتدون بمن هم أعلى منهم مكانة وثقافة ومرتبة " لاعتقادهم الكمال فيهم اعتقاد الأبناء بآبائهم و المتعلمين بمعلميهم " [40]

---

[35] – ينظر فؤاد علي العاجز ، المعلم القدوة من وجهة نظر علماء التربية المسلمين الأوائل ، د-ط ، غزة، 1999، ص4/3

[36] – عبد الرحمن ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ص365

[37] – نفس المصدر ، ص365

[38] – نفس المصدر ، ص366

[39] – ينظر أحمد محمد المعتوق ، الحصيلة اللغوية ،ص171

[40] – عبد الرحمن ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ،ص121

7- أن يعرف كيفية استغلال الوقت وتنظيمه وإفادة المتعلم، والدليل قول ابن خلدون " ولا تمر بك ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده إياها من غير أن تحزنه فتميت ذهنه ". [41]

و ما يمكن استنتاجه أن ابن خلدون أعطى قيمة لزمن التعلم ، كما بين أهمية العامل النفسي للمتعلم.

و من واجبات المعلم :

-أن يراعي قدرات المتعلم ويساعده على الفهم ، وذلك بتقديم المعلومات والمفاهيم التي يستطيع استيعابها ، فلا يعرضه للنسيان بتفريق المجالس وتقطيع ما بينها لأن ذلك يعيق تحصيل الملكة.

-اجتناب خلط علمين على المتعلم ، وهكذا يكون ابن خلدون قد راعى المتعلم وظروفه ومقدرته مستبقا النظرية التربوية الحديثة القائلة بجعل المعلم والبرامج يدور كلاهما في فلك المتعلم. [42]

خاتمة :

إذا كان المنهاج هو نظام متكامل من الحقائق والخبرات و المهارات التي تقدم للمتعلمين قصد التأثير الإيجابي في سلوكاتهم و معارفهم ، فإن ما ورد في مقدمة ابن خلدون من آراء تربوية و أفكار رائدة في مجالي التربية والتعليم، تمكن من إعداد منهاج يسهل العملية التربوية التعليمية .

فلماذا لا نحاول استثمار تلك الآراء التربوية التي ذكرها ابن خلدون في مقدمته لبناء منهاج منطلقه تراثي ، و ربطها بالآراء الحديثة مستفيدين من تلك النظريات التربوية التعليمية الحديثة ، وذلك باختيار ما يستجيب لمتطلبات الواقع العربي ، و يحافظ على قيمنا ،سعيا وراء ما يدفع المتعلمين إلى السمو بأفكارهم ويحفزهم على الإبداع ؟

المصادر و المراجع:

1.ابن خلدون عبد الرحمن ، مقدمة ابن خلدون ، دار ابن الجوزي

2.الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، تحقيق أنس محمد الشامي و زكريا جابر أحمد ، دار الحديث ، القاهرة 2008

3.ابن خلدون عبد الرحمن ، المقدمة ، نقلا عن فتيحة حداد ، ابن خلدون و آراؤه اللغوية و التعليمية

4.أحمد محمد المعتوق ، الحصيلة اللغوية (أهميتها ، مصادرها ، وسائل تنميتها) ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب، الكويت، 1996م

5.حسين عبد الله بانبيله ، ابن خلدون وتراثه التربوي ، دار الكتاب العربي ، لبنان ، ط1 ، 1984

6.ديب صفية ، التربية و التعليم في المغرب و الأندلس في عصر الموحدين ، مؤسسة كنوز الحكمة ، 2011

7.ساطع الحصري ، دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، مكتبة الخانجي القاهرة ، دار الكتاب العربي ، بيروت ط3 ، 1967

8.صالح بلعيد ، دروس في اللسانيات التطبيقية ، دار هومة ، الجزائر ، ط4 ،2009

9.عبد الأمير شمس الدين ، الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأزرق

[41] – نفس المصدر ، ص493

[42] – عبد الأمير شمس الدين ، الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأزرق ، ص82/81

10.عبد العليم إبراهيم ، الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية ، دار المعارف ، القاهرة ط14
11.عبد الله عبد الدايم ، التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى القرن العشرين
12.علي عبد الواحد وافي ، عبد الرحمن ابن خلدون حياته و آثاره و مظاهر عبقريته ، دار مر للطباعة ، 1975
13.فاروق النبهان ، الفكر الخلدوني من خلال المقدمة
14.فؤاد حسن أبو الهيجاء، أساليب و طرق تدريس اللغة العربية و إعداد دروسها اليومية ، ط3 ، 2007 ، دار المناهج ، عمان
15.فؤاد علي العاجز ، المعلم القدوة من وجهة نظر علماء التربية المسلمين الأوائل ، د-ط ، غزة، 1999

البريد الإلكتروني للمؤلف المرسلd.Smahia@yahoo.Fr